

الفصل الثاني

الفاصلة في القرآن الكريم

المبحث الأول

تعريف الفاصلة القرآنية واهتمام العلماء بها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفاصلة في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الفاصلة في اللغة:

الفاصلة في اللغة من الفعل فصل وجمعها فواصل، وهي مؤنث الفاصل والفصل الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصلت، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعت فانقطع، والفصل القضاء بين الحق والباطل.⁽¹⁾ والفاصلة خرزة خاصة تفصل بين الخرزتين في العقد.⁽²⁾

ثانياً: الفاصلة في الاصطلاح:

اختلفت آراء العلماء قديماً وحديثاً في المعنى الاصطلاحي للفاصلة وذلك كما يلي:

- 1- عرفها الإمام الرماني بقوله: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني".⁽³⁾
- 2- وعرفها الزركشي: "هي آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع".⁽⁴⁾
- 3- وعرفها الإمام الداني: هي كلمة آخر الجملة، وقال: أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس.⁽⁵⁾ كذلك الفواصل قد تكون رؤوس أي وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية.⁽⁶⁾
- 4- وعرفها الدكتور فضل حسن عباس بقوله: "يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية، أطلقوا على ما ختمت به الآية الكريمة فاصلة".⁽⁷⁾

(1) انظر: (لسان العرب)، ص622، و(المنجد في اللغة): د.صلاح الدين المنجد، ص585، ط34، دار الشروق، بيروت.

(2) انظر: (المعجم الوسيط): إبراهيم مصطفى وآخرون، ج2، ص717، المكتبة الإسلامية، استانبول.

(3) (النكت في إعجاز القرآن)، ص97.

(4) (البرهان)، ج1، ص53.

(5) انظر: (البرهان)، ج1، ص53.

(6) انظر: (الإتقان) ج2، ص247.

(7) (إعجاز القرآن): ص225.

المبحث الثاني

أنواع الفواصل وطرق معرفتها

المطلب الأول: أنواع الفواصل في القرآن الكريم:

تعددت أنواع الفاصلة القرآنية في القرآن الكريم، وبين العلماء أن لها خمسة أنواع وهي: (المتماثلة - المتقاربة - المتوازية - المتوازنة - المطرّف).

أولاً: الفاصلة المتماثلة: وهي التي تماثلت حروف رؤوسها، وتسمى كذلك المتجانسة أو ذات المناسبة التامة.

قال الإمام الرماني: "والفواصل على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة"⁽¹⁾ ومن أمثلة الحروف المتجانسة:

1- قوله تعالى: ﴿طه﴾ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾⁽²⁾

2- وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٣﴾⁽⁴⁾.

3- وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾⁽⁵⁾.

4- وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾⁽⁶⁾، فالكلمات شفق، وسق، طبق تنتهي بفاصلة متماثلة واحدة وهي حرف القاف.

(1) (النكت): ص 98.

(2) سورة طه: (الآيات: 1-3).

(3) سورة الطور: (الآيتان: 1-2).

(4) انظر: (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، و(النكت) للرماني، ص 98، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.

(5) سورة التكويد: (الآيات: 15-18).

(6) سورة الانشقاق: (الآيات: 16-19).

- وقد استقلت الفواصل بإحدى عشرة سورة من سور المفصل ومعظمها مكى وهي:
- 1- سورة (القمر - القدر - العصر - الكوثر) التي تماثلت فواصلها في حرف الراء.
 - 2- سورتا (الأعلى - الليل) اللتان تماثلت فواصلهما في حرف الألف المقصورة.
 - 3- سورة (الشمس) التي على فواصل الألف الممدودة بعدها الضمير (ها).
 - 4- سورة الإخلاص على الدال وسورة الناس على السين وسورة المنافقون على النون وسورة الفيل على اللام. (1)

ثانياً: الفاصلة المتقاربة: وتسمى ذات المناسبة غير التامة. (2)

وأما الحروف المتقاربة كالميم من النون لقوله تعالى: (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) وكالدال مع الباء نحو (ق، والقرآن المجيد) ثم قال (هذا شيء عجيب). يقول الرماني: وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة، لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة. (3)

هذان النوعان المتمثلة والمتقاربة غالبان على الفواصل، لا يكاد أحدهما يزيد عدداً على الآخر، لكن الملاحظ أن الفواصل المتمثلة تشيع في الآيات والسور المكية كسورة النازعات وعيس والانفطار والأعلى، على حين تغلب المتقاربة على الآيات والسور المدنية، كسورة البقرة وآل عمران والمائدة.

ثالثاً: الفاصلة المتوازية: وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن والحرف كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (4)، وكقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ط أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ط وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ط وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ط وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ط إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (5)

(1) انظر: (الإعجاز البياني)، موسى الحشاش، ص121.

(2) انظر: (النكت)، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، ص90.

(3) انظر: (المرجع السابق)، ص98.

(4) سورة الغاشية (الآيتان: 13-14).

(5) سورة آل عمران (الآيتان: 48-49).

رابعاً: الفاصلة المتوازنة: وهو أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط كقوله تعالى: ﴿وَمَارِقُ مَصْفُوفَةً﴾ (١٥) وَرَزَابِي مَبْثُوثَةً﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٢) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٢)

وقد تكرر المتوازن في سورة الشورى في سبع آيات متواصلة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكُ لَعَلَّ السَّاعَةِ قَرِيبٌ﴾ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ (١٨) أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (١٩) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢٠) وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (٢١) مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ (٢٢) وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (٢٣) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (٢٥) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٢٦) ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢٧)

فجميع فواصلها بين (شديد - قريب - بعيد - عزيز - نصيب - أليم - كبير) على هذا الترتيب وهو في القرآن كثير وبخاصة في قصار المفصل. (٤)

(1) سورة الغاشية (الآيتان: 15-16).

(2) سورة المعارج (الآيات: 5-9).

(3) سورة الشورى (الآيات: 16-22).

(4) انظر: (الفاصلة القرآنية) ص 20.

خامساً: الفاصلة المطرّفة: "وهو أن تتفق الكلمتان في حرف الروي لا في الوزن كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾" (1). (2)

المطلب الثاني: طرق معرفة الفواصل:

الفاصلة في القرآن الكريم تأتي مستقرة مطمئنة في مكانها، متسقة مع موضوع الآية، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها، بحيث لو طرحت لاختل المعنى، ولمعرفة الفواصل في القرآن الكريم طريقان توقيفي وقياسي. (3)

أولاً: التوقيفي:

ما كان يقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم دائماً تحققنا أنه فاصلة، وما كان يصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله مرة أخرى فيحتمل فيه ثلاثة أمور:

أ- أن يكون الوقف للاستراحة.

ب- أن يكون الوقف لتعريف الوقف التام.

ج- أن يكون الوقف لتعريف الفاصلة.

والوصل إما أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها. (4)

روى أبو داود عن أم سلمة: لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: "كان يقطع قراءته، يقرأ الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف، وكان يقرأها ملك يوم الدين" (5)

ثانياً: القياسي: وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل. (6)

(1) سورة نوح (الآيتان: 13-14).

(2) (الإتقان)، ج3، ص263.

(3) انظر: (الإتقان)، ج3، ص247. و(إتقان البرهان في علوم القرآن): د. فضل عباس ج1، ص440، دار الفرقان، الأردن.

(4) انظر: (معترك الأقران) ج1، ص24. وانظر: (الإتقان في علوم القرآن) ج2، ص268.

(5) (سنن الترمذي) باب فاتحة الكتاب، حديث رقم 2927. وانظر: (تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي): للمباركفوري، 198/8.

(6) انظر: (أصول الفقه): لأبي زهرة، ص245.

أما الطرق التي تعرف العلماء بها على قياس الفاصلة فهي:

1- مساواة الآية بما قبلها وما بعدها في الطول والقصر:

عندما تتبع العلماء الآيات واستقر عوا الفواصل في السور طوِيلها وقصيرها، وجدوا أن الآيات الطوال لم تأت إلا في السور الطوال على قدر متساوٍ وكذلك لم تأت القصار إلا في أقصر السور، واستنبطوا أصلاً لمعرفة الفاصلة، وهو مساواتها لما قبلها وما بعدها في الطول والقصر، ولهذا لم يعدوا قوله تعالى: (إنما يستجيب الذين يسمعون) [الأنعام] وقوله تعالى: (فدلاهما بغرور) [الأعراف] لعدم مساواة هذه الكلمات للسور التي هي منها وعدوا قوله تعالى (ثم نظر) آية.

فيبقى أن هذا الحكم الثابت في الاستقراء أغلبي لا كلي فالغالب أن آيات السور الطوال طويلة وآيات السور القصار قصيرة وقد يكون الأمر على خلاف ذلك تبعاً للتوقيف.⁽¹⁾

2- مشكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها أو فيما قبله:

وذلك أن كل آية جاءت في القرآن فإنما تعتبر فاصلتها بآخر حرف فيها بحيث تكون مشكلة لما قبلها وما بعدها في الحرف الأخير نحو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (1) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (2) فإذا كان ما قبل الحرف الأخير منها حرف مد نحو (يؤمنون) فإن العبرة تكون بالمشكلة فيه مع اعتبار المساواة في الوزن، وأكثر الفواصل وقوعاً ما كان بحرف المد سواء كان في الآخر أو فيما قبله لأن حرف المد أوعى إلى التطريب ومد الصوت ولا فرق بين الألف والواو والياء في الفواصل التي قبل الحرف الأخير حرف مد نحو (المتقين)، (المفلحون).⁽³⁾

3- انقطاع الكلام:

وذلك أن كل كلمة مشتملة على حرف المد ووقعت بعد كلمة أخرى مشتملة على حرف مد كذلك وصلح كل منهما لأن يكون فاصلة، فالفاصلة هي الثاني سواء اعتبرت الفاصلة بما قبل الحرف الأخير نحو (عليم حكيم) أم بالحرف الأخير نحو (أعطى واتقى)، (دنا فتدلى).⁽⁴⁾

(1) انظر: (بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل) عبد الفتاح القاضي، ص32. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

(2) سورة الإخلاص (الآيتان 1-2).

(3) انظر: (بشير اليسر): عبد الفتاح القاضي، ص33.

(4) انظر: (المرجع السابق): ص42.

ويرى الباحث أنه لا طريق لمعرفة الآية سوى النقل عن الصحابة الذين سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، وعرفوه عن طريق سماعهم لقراءته، وعن طريق سؤالهم له عن رؤوس الآيات، ولا دخل للقياس في معرفته للعلماء فإن العلماء عدوا (المص) آية، ولم يعدوا نظيرها وهو (الم آية، وعدوا (يس) آية، ولم يعدوا نظيرها وهو (طس) آية، ولو كان الأمر مبنياً على القياس لكان حكم المثاليين فيما ذكروا واحداً.

وقد أشار لذلك الإمام الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ
اَلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾، بقوله "فإن قلت ما بالهم عدوا بعض هذه
الفواتح آية دون بعض قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور".⁽²⁾

(1) سورة البقرة (الآيتان: 1-2).

(2) (الكشاف)، ج1، ص105. وانظر: (إتقان البرهان) 1/431.

المبحث الثالث

الفرق بين الفاصلة والسجع وأقوال العلماء في ذلك

المطلب الأول: السجع في اللغة والاصطلاح:

أولاً: السجع لغةً: "هو الكلام المقفى، أو موالة الكلام على روى واحد، ويجمع على أسجاع وأساجيع، وهو مأخوذ من قولهم سجعت الحمامة وسجع الحمام وهو هديله وترجيعة لصوته." (1) وفي المنجد: "سجع سجعاً نطق بكلام مقفى له فواصل." (2)

ثانياً: السجع اصطلاحاً: هو: "وحدة الحرف الأخير في الفاصلتين." (3) وقال ابن سنان الخفاجي: "تمائل الحروف في مقاطع الفصول" (4). وقال السيد أحمد الهاشمي: "هو أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير." (5)

المطلب الثاني: الفرق بين الفاصلة والسجع:

تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين بها القرآن بقية الكلام وسميت فواصل لأنه ينفصل عندها الكلام حيث إن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ويستدل على هذا من خلال قوله تعالى: ﴿الرَّ كَتَبْ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (6)

أما السجع فتكون مقاطع الكلام فيه متحدة في الحروف، وعلى هذا فالفواصل أعم من السجع. (7)

(1) (لسان العرب) 128/7.

(2) (المنجد)، ص 322.

(3) (البلاغة الاصطلاحية) عبده قليقله، ص 355، دار الفكر العربي، ط3، تاريخ 1992م.

(4) (سر الفصاحة): لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، ص171، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، سنة 1982.

(5) (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع): السيد أحمد الهاشمي، ص326، دار الكتب العلمية. وانظر: (البلاغة فنونها وأفنانها) الفضل عباس، ص305، دار الفرقان، الطبعة العاشرة، 2005م.

(6) سورة هود (الآية: 1).

(7) انظر: (الفاصلة القرآنية) ص7.